سلسلة تفريغات شبكة بينونة

من وصايا الإمام مالك رحمه الله

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

من هنا باقي التفريغات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرُّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم محاضرة بعنوان

مِنْ وَصَايَا الإِمَامُ مَالِكٍ رَحِمَهُ الله

للشَّيْخِ:

د. مُحَمَد بِنْ غَالِبْ العُمَرِي

-حفظه الله تعالى-

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

.

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلِّى الله عليه وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

فلقاؤنا بإذن الله -جَلَّ وَعَلَا- في هذه الليلة مع هذه المحاضرة والتي هي بعنوان: [**من وصايا الإمام مالكٍ -رَحِمَهُ اللهُ-**]، لا أرى التقديم بترجمةٍ للإمام مالك، فالمعروف مثل الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- لا يُعرَّف في مثل هذا المقام، فشهرتهُ معلومةٌ ومكانتهُ معروفة، ويكفي أنه إمامُ دار الهجرة وأحدُ الأئمة الأربعة -رحمَ الله الجميع-.

إنما المقصودُ في هذا اللقاء هو ذِكرُ بعض الوصايا، ولا شكَّ أن الوارد من الوصايا الكثير، وإنما اخترتُ في مثلِ هذا المقام أربعًا من الوصايا متنوعة تدلُ على عمق علمه -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-، وعلى نصحهِ للأمة، وعلى تمسُّكه بالأثر والسنَّة، وعلى ما رزقه الله -جَلَّ وَعَلَا- من العلم النافع والذي نجدُ ترجمة ذلك في مثل هذه الوصايا وفي غيرها.

ولا شك أن الناظر في كلام سلف هذه الأمة ينتفع انتفاعًا كبيرًا من نصائحهم ومواعظهم، فهم مصابيحُ الدُّجى ومناراتُ الهُدى، وهم الناصحون الصادقون، وهم الذين حملوا لنا هذا العلم، وبلَّغوا لنا هذا الدين، ووضَّحوا لنا مراشد الأمور، ونصحوا وقاموا لله -جَلَّ وَعَلَا- حقَ القيام، متبعين في ذلك لنبيهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- عاملينَ بسنَّته، مقتدين بهديه، آخذين بأوامره ومجتنبين لنواهيه.

وحفظوا لنا العلم فيما دَوَّنه من الدواوين، ومن ذلك كتاب [الموطأ] للإمام مالك بن أنس -رَحِمَهُ اللهُ-، هذا الكتاب العظيم الذي جمعَ أحاديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وانتفعت به الأمة إلى يومنا هذا وإلى أن يشاء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

✹ **في الحقيقة أن هذه الوصايا هي قواعد من الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً- تندرج تحتها الجزئيات الكثيرة والمسائل العديدة:**

➢ **أُولى هذه الوصايا:** هو ما رواه ابن عبد البَر وغيره من قول الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ-: "ليس أحدٌ بعد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- إلا ويُؤخَذُ من قولهِ ويُترَك إلا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-".

هذه الوصية فيها وجوب التجرُّد لمتابعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وأن ما دون النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- من أقوال البشر فإنها تؤخذ إذا وافقت الحق، وتُردُّ إذا عارضت الصواب، أما سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هي واجبةُ الاتباع؛ ذلك لأن الله -جَلَّ وَعَلَا- قال: ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3-4]، وهذا يُعطي للمسلم وجوب التجرُّد للأخذ بسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دون التردُّد أو الريب أو الشك، فإذا ثبتت سنَّةٌ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيجب على المسلم أن يأخذَ بها.

☜ **وموقف المسلم من السنَّة أن يَقِف موقفين:**

أولًا: أن يعتقد صحَّة ما تضمَّنه الحديث عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إذا صحَّ الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيجب أن يعتقد ما تضمَّنه هذا الحديث من العلم.

وثانيًا: ما يُوجِبُ العمل بهذا الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمرًا أو نهيًا.

☜ **والناس مع سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على أقسامٍ ثلاثة:**

■ فمن الناس من لا يرفع لسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رأسًا، إذا أوردت عليه الحديث شكَّك فيه، أو عارضه بالمعارضات العقلية، أو بالأقيسة الفاسدة، أو بغير ذلك حتى يُبطل العمل بسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مقدِّمًا في ذلك عقله أو رأيه أو هواه أو نظرية أو نحو ذلك من المعارضات، وهذا لا شك أنه من التفريط.

■ ومن الناس من يُبالغ في موقفه من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى يُعطيه شيئًا من خصائص الربوبية أو من خصائص الألوهية، فيدعوه من دون الله -جَلَّ وَعَلَا- أو يستغيثُ به، والله -جَلَّ وَعَلَا- قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف:110] لكن الفرق ﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف:110].

وهؤلاء لا شك أنهم في طريق الغلو؛ فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بشرٌ لا يُعبَد ونبيٌّ لا يُكذَّب، وهو -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- يطرأ عليه ما يطرأ على البشر من المرض والتعب والألم والجروح ونحو ذلك، والله -جَلَّ وَعَلَا- إنما أمر باتباعه ولم يأمر بعبادته أو التقرُّب إليه.

ولذلك لما قال رجلٌ للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنْتَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَخَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا فقطع عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما قد يكون سبيلًا إلى الغلو فقال: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ** -وفي رواية: **وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ**- **فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[1].

■ **الطائفة الثالثة**: وهم أهل الحق الذين وقفوا مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقفةً صادقة، أخذوا بحديثه، وعملوا بسنَّته، واعتقدوا ما تضمنَّته هذه الأحاديث من العلم ومن الأخبار، وعملوا بما فيها من الأوامر، واجتنبوا ما فيها من النواهي، وأنزلوا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منزلته التي أنزله الله -جَلَّ وَعَلَا- إياها، وهي أعلى المراتب في البشر مرتبة العبودية؛ ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾ [الإسراء:1]، ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ**﴾ [الجن:19] هذه المرتبة العظيمة، فسماهُ الله -جَلَّ وَعَلَا- عبدًا، وهذا من أعظمِ الأوصاف أن تكون عبدًا لله -جَلَّ وَعَلَا-.

فلا يجوز أن يُتهاونَ في هذا الأمر العظيم، وأن يُجعَل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- معبودًا مع الله -جَلَّ وَعَلَا- يُتقرَّب إليه أو يستغاثُ به، ولا ينبغي التهاون في منزلة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أو الجفاء، أو الاستنقاص منه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو من سنَّته، أو من الوارد عليه، أو من أصحابه، أو من أزواجه.

✹ ولنعلم أن السنَّة التي أشار إليها الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- بقوله: "كلٌّ يؤخذ من قوله ويُرَد إلا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، ومكانتها الصدارة بعد كتاب الله -

---

(1) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (14 / 133) برقم: (6240).

جَلَّ وَعَلَا-، فهي الأصلُ الذي يُرجَعُ إليه مع كتاب الله -جَلَّ وَعَلَا- بإجماع أهل العلم، وهي حُجَّةٌ قائمة.

☜ **وثمرات التمسُّك بها كثيرة:**

من ذلك: أنها سبيلٌ للنجاة من الاختلاف، من تمسَّك بالسنَّة وعمل بمقتضى حديث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان ذلك سببًا لنجاته: من الهلاك، من الفتن، من الضلال، من الانحراف، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كما في [السنن] من حديث العرباض بن سارية قال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا» ثم أرشدهم إلى العلاج قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ»[1] الحديث.

كذلك من ثمرات التمسُّك بالسنَّة: النجاة من الافتراق، النجاة من الخلاف والاختلاف المذموم الحاصل في هذه الأمة من التحزُّبات، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لما أخبر عن افتراق هذه الأمة قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ» وفي رواية قال: «هُوَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[2]. إذن التمسُّك بما عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- سببٌ للنجاةِ من الافتراق.

الثمرة الثالثة: أن الله -جَلَّ وَعَلَا- وعد عباده المؤمنين المتبعين لنبيِّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بالكفاية وبالنُصرة على الأعداء، قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:64] أي كافيك الله، ومن كان الله كافيه فمما يخشى؟ ومَن كان الله -جَلَّ وَعَلَا- ناصره فمما يخاف؟ هذه ثمرةٌ عظيمة.

---

(1) - أخرجه الترمذي في "جامعه" (4 / 408) برقم: (2676)

(2) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (14 / 140) برقم: (6247)

كذلك: السنَّة فيها الهداية من الضلال كما قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:54] كان بعضُ السلف يقول: "مَن أمَّر السنَّة على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أمَّر البدعة أو الهوى على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالبدعة"؛ لأن الله -جَلَّ وَعَلَا- قال: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:54].

كذلك من أعظم الآثار لمتابعة سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: استحقاق مغفرة الله -جَلَّ وَعَلَا- للعبد ومحبَّته له، كما قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:31] يقول ابن كثيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: "هذه الآية الكريمة حاكمةٌ على كل من ادَّعى محبَّة الله -جَلَّ وَعَلَا-، وليس هو على الطريقة المحمَّدية فإنه كاذبٌ في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميعِ أقوالهِ وأحواله".

هذه بعض الآثار في التمسُّك بسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وفي تقديمها على الآراء والأهواء، وعلى هذا سار الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ- ومضوا على الوقوف عند سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وعلى العملِ بها، وعلى تقديمها على أقوالهم بل وأقوال أجلَّة الصحابة وأكابر الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ-.

وعلى هذا سار الأئمة؛ لا يُقدِّمون قولًا على سُنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-:

- كما جاء عن الإمام أبي حنيفة -رَحِمَهُ اللهُ- أنه كان يقول: "لا يَحلُّ لأحدٍ أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه" وفي بعض الروايات أنه قال: "إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي".
- كذلك جاء عن الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ- أنه قال: "أجمع المسلمون على أن من استبان له سنَّةٌ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لم يحل له أني دعها لقول أحد"، وقال: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنَّة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فقولوا بسنَّة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ودعوا ما قلت".
- وهكذا جاء عن الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- أنه قال: "لا تُقلِّدني ولا تُقلِّد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخُذْ من حيث أخذوا"، وقال: "الاتباع أن يتبَّع الرجل ما جاء عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وعن أصحابه ثم هو من بعدِ التابعين مخيَّر"، وقال: "لا تُقلِّد

دينك أحدًا من هؤلاء ما جاء عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وأصحابه فخُذْ به، ثم التابعين بعد الرجل فيه مخيَّر".

فهذه الطريقة الصحيحة في وجوبِ التجرُّد لسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، هذا الأثر عن مالك -رَحِمَهُ اللهُ- صار قاعدةً يتداولها الخلفُ عن السلف، سار عليها العلماء وامتلأت كتبهم بذِكرها؛ لأنها كلمةُ حقٍّ وقاعدةٌ صحيحة في وجوبِ متابعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

➢ **القاعدة الثانية**: ما ذكره جمعٌ من أهل العلم ومنهم الذهبي في كتابهِ [العلو]، فقال: "وروى يحيى بن يحيى التيمي، وجعفر بن عبد الله، وطائفة قالوا: جاء رجلٌ إلى الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- فقال: يا أبا عبد الله؛ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] كيف استوى؟، قال: فما رأيتُ مالكًا وجد من شيئًا كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء -يعني العرق-، وأطرق القوم، فسُرِّي عن مالك كُشِف عنه، معنى ذلك أنه خفَّ عنه هذا الضغط الذي وجده من هذا السؤال وكأنه استراح قليلًا ثم قال: "الكيفُ غير معقول، والاستواءُ منه غير مجهول، الإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالًّا" وأُمِرَ به فأُخرِج.

إذن لما جاءه هذا الرجل وسأله عن هذه المسألة قال له: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] كيف استوى؟ فجاءت روايات: من ذلك: أنه قال: "الاستواءُ معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"؛

- **أولًا قال**: (**الاستواء معلوم**) وهذا فيه ردٌّ على المُعطِّلة الذين يُنكرون الاستواء، أو يقولون: معناه الاستيلاء.
- **ثم قال**: (**والكيف مجهول**) أي كيف استوى بالنسبة لنا؟ نحن نعرف معنى الاستواء، وهذا الرد على من يُكيِّف صفات الله -جَلَّ وَعَلَا- فإنه يتكلَّمُ بغير علم، فإن الله -جَلَّ وَعَلَا- أعلمنا بصفاته ولم يُعلمنا بكيفية هذه الصفات، أعلمنا بأنه استوى، بأنه ينزل، بأنه يجيء، لكن لم يُعلمنا كيف مجيئه أو كيف نزوله ونحو ذلك.

- **ثم قال: (الإيمان به واجب)** وهذا أيضًا فيه الرد على المعطِّلة، يجب أن تؤمن ولا يجوزُ لك أن تُحرِّف أو تُعطِّل.
- **ثم قال: (والسؤال عنه بدعة)** هذا يدل على أن السؤال هذا من الأسئلة التي لا تجوز؛ لأنها اعتداء في أمرٍ غيبي.

ورُوي هذا الأثر أيضًا عن ربيعة شيخ مالك أنه قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول"، ويُروى عن أم سلمة، لكن انتشر واشتهر عن الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ-.

إذن هذا السائل الذي جاء إلى الإمام مالك قد وقف على قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] وهذا المعنى تعرفه العرب في لغتها: استوى بمعنى ارتفع، بمعنى علا، وغير ذلك من المعاني الواردة، ولكنه سأل هنا عن الكيفية قال: كيف استوى؟

فالإمام مالك قال: "الاستواء معلوم" يعني في لُغةِ العرب معلوم، وفي الرواية الأخرى قال: "الاستواء غير مجهول" أي نعرفه، نعرف في لغة العرب معنى استوى.

قال: "والكيف مجهول، أو والكيف غير معقول" فالاستواء معلوم وهذا الكيف لا نعلمه، ليس عندنا علم بكيفية صفات الله -جَلَّ وَعَلَا-، فكذلك نقول: لا نعلم كيفية صفاته -جَلَّ وَعَلَا- وإن كان لها كيفٌ يعلمه الله -جَلَّ وَعَلَا- لكن نحن لا نعلم هذه الكيفية.

قال: "والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة" أهلُ السنَّة والإمام مالك من أئمتهم يُثبتون ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- من الأسماء والصفات؛ لا يُعطِّلون، ولا يُمثِّلون، ولا يُكيِّفون، بل يؤمنون بمقتضى معاني هذه الصفات في لغة العرب، ويُثبتون لله -جَلَّ وَعَلَا- هذه الأسماء والصفات، ويُثبتون لله -جَلَّ وَعَلَا- الصفات المشتقة من الأسماء؛ فإن لكل اسمٍ صفة تُشتق منه، ولا يسألون عما حجبه الله -جَلَّ وَعَلَا- عنهم سواءً من أمر الكيفية أو نحو ذلك، ويقطعونَ على السائلين هذه الأسئلة التي مصدرها التعنُّت والتكلُّف.

وأمر الإمامُ مالك -رَحِمَهُ اللهُ- بإخراج الرجل تأديبًا به وزجرًا لأمثاله ولمن يقع في نفسه مثل هذه الأمور، وهذا فيه عدم التمكين لأهل الشُّبَه الضالة من بَثِّ شبههم في المجتمعات، وعدم الإذن بالسماع لهم أو بنشر كلامهم، بل يجب زجرهم ومنعهم حتى لا يُشكِّك الناس في عقائدهم، وهكذا بقية الفِرَق من الخوارج ومن الجهمية ومن غيرهم ممن يبثُّون التشكيك في عقائد الناس، ويجعلون الناس فرقًا وأحزابًا يجب منعهم وعدم تمكينهم على منابر العلم والوعظ والدعوة.

وهذه القاعدة التي ذكرها الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- وهو قوله: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة" هذه القاعدة عامة في جميع الصفات؛ فلو قال قائل: إن الله ينزل، كيف ينزل؟ يُقال له: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهكذا أيضًا في بقيةِ الصفات.

➢ **القاعدة الثالثة:** ما رواه الهروي في ذمِّ الكلام وأهله أن الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- قال: "لو أن رجلًا ارتكب جميع الكبائر ثم لم يكن فيه شيءٌ من هذه الأهواء لرجوتُ له، من مات على السنَّة فليَبشر".

في الحقيقة هذا الأثر يدل على معتقد أهل السنَّة والجماعة في أن باب الشبهات أعظم من باب الشهوات، ولذلك جاء عن سفيان -رَحِمَهُ اللهُ- أنه قال: "البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية" فالبدعة قلَّ أن يتوب منها صاحبها، فلذلك جاء في الحديث يُصحِّحه بعض أهل العلم: «**إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوبَةَ عَن كُلِّ صاحِبِ بِدعَةٍ**»[1]، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقول: «**كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

فالمسلمُ الفَطِن في أمره الحازمُ في تديُّنه له -جَلَّ وَعَلَا- يحرص على مجانبة الشهوات والشبهات، ولكن يعلم أن باب الشبهات يتعلَّق بأمر الدين والاعتقاد فأمره أخطر، ولذلك جاءت مثل هذه العبارات عن العلماء، ويعلم العبد أن أعظم ما يحرص عليه أن يكون عبدًا لله -جَلَّ وَعَلَا-، وأن يستعمله الله -جَلَّ

(1) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (6 / 72) برقم: (2054).

وَعَلَا- في طاعته، كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» قَالُوا: كَيْفَ يَسْتَعْمَلَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ المَوْتِ»[1].

فليحرص الإنسان على أن يتمسَّك بسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويعمل بالعمل الصالح، لذلك جاء عن الإمام مالك أنه قال: "لو لقي الله رجلٌ بملء الأرض ذنوبًا ثم لقي الله بسنَّة لكان في الجنَّة مع النبيين والصدِّقين والشهداء والصالحين" والمقصود بذلك ليس التهوين من أمر المعاصي، ولكن المقصود أن التمسُّك بالسنَّة سببٌ عظيمٌ من أسباب النجاة، وأن الابتلاء بالأهواء أعظم من الابتلاء بالمعاصي.

ولذلك كان السلف يسألونَ الله -جَلَّ وَعَلَا- الموت على السنَّة كما جاء عن طلحة بن عُبيد الله البغدادي قال: "وافق ركوبي ركوب أحمد بن حنبل في السفينة قال: فكان يُطيل السكوت، فإذا تكلَّم قال: اللهم أمتنا على الإسلام والسنَّة". وقيل للإمام أحمد: "أحياك الله يا أبا عبد الله على الإسلام، قال: والسُنَّة؟" على متابعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

لذلك جاء عن عبد الله بن المبارك الإمام الزاهد المجاهد الورع أنه قال: "اعلم أخي أن الموتَ اليوم كرامةٌ لكل مسلمٍ لقي الله على السنَّة، قال: فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقلَّة الأعوان، وظهور البِدَع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأمة من ذهاب علماء أهل السنَّة وظهور البِدَع، وقد أصبحنا في زمانٍ شديد وهرجٍ عظيم".

فالتمسُّك بالسنَّة نعمةٌ عظيمة ولا سيما مع حال اختلاف الأهواء.

الخوارج الذين خرجوا على الأمة يقتلونَ البرَّ والفاجر، ويخرجون على ولاة أمور المسلمين، ويُهيِّجون الناس، وينشرون الفساد في الأرض أعظم انحرافٍ وقعوا فيه أنهم انحرفوا عن سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وخالفوا هديه، ولم يأخذوا بوصيته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بالسمع والطاعة في المنشَط

---

(1) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (2 / 53) برقم: (341).

والمكرَهِ، وفي الصبر، وفي التعاون، وفي النصيحة لولاةِ الأمر بضوابطها الشرعية، وهكذا من انحرف في أبوابِ الاعتقاد وخالف سبيل المؤمنين خالف سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

فالإمام مالك يقول: "مَن مات على السنَّة فليبشر" وجاء عن الفضيل بن عياض أنه قال: "طوبى لمن مات على الإسلام والسنَّة" فيحرص الإنسان على ألا يُخالف سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في قليلٍ ولا كثير ولا سيما فيما يُخالفُ الأهواء والآراء والعقول، لا ينبغي له أن يُقدِّم هذه على سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بل يُقدِّم السنَّة على غيرها.

➢ **الوصية الرابعة والأخيرة:** ما رواه أبو نُعيم في [الحِلية] وغيره عن ابن وهبٍ أنه قال: قيل لمالك بن أنس: "ما تقولُ في طلب العلم؟ قال: حسنٌ جميلٌ ولكن انظر الذي يلزمك من حين تُصبح إلى حين تُمسي فالزمه".

هذه وصيَّة عظيمة وقاعدة جليلة من الإمام مالك في أمر طلب العلم، طلب العلم الذي يحتاج المسلم إليه، وأعظم ما تنصبُّ الفضائل في باب طلب العلم: إنما على العلم الشرعي علم الكتاب والسنَّة والوارد عن سلف هذه الأمة، النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقول: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَىْ كُلِّ مُسْلِمٍ»[1].

فالإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه الوصية يُبيِّن أن طلب العلم حسنٌ وجميل، وردت فيه الفضائل العظيمة:

- الله -جَلَّ وَعَلَا- قال: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:18] فاستشهد أهل العلم على أعظم مشهود، ورفع من شأنهم، وعلا من ذِكرهم.
- وقال: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:11].
- وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:9].

منزلة العلم عظيمة، ومكانته جليلة، ولكن العلم شُعَب وأودية، فيحرص المسلم على أن يأخذ من العلم ما يلزمه وما ينفعه في حاله، والناس يتفاوتون في هذا الباب بين مبتدئٍ ومتوسطٍ ومتقدِّم، فلا ينبغي على

---

(1) - أخرجه ابن ماجه في "سننه" (1 / 151) برقم: (224).

طالب العلم أن يحرص على منزلةٍ أو مرتبةٍ ليست له أو ليس هو من أهلها، بل يحرص على ما يكون نافعًا له في طلبه للعلم، ومفيدًا له في حاله التي هو فيها، فطلب العلم في الأصل أنه فرضٌ؛ ولكن:

- منه ما هو فرض عين.
- ومنه ما هو فرض كفاية.

فيحرص المسلم على طلبِ العلم. جاء عن إسحاق بن راهوية -رَحِمَهُ اللهُ- أنه قال: "طلبُ العلم واجب" ومعنى ذلك أنه يلزم الإنسان من طلب العلم ما يلزمه في أمر عبادته مثل: معرفة الوضوء، ومعرفة الصلاة، ومعرفة الزكاة إن كان له مال، ومعرفة الحج إن تيسَّر له الحج، ومعرفة الصيام إن كان يجب عليه الصيام، وهكذا إذا أراد البيع أو الشراء.

ولذلك قال ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "طلب العلم الشرعي فرضٌ على الكفاية إلا فيما يتعيَّن مثل طلب كل واحدٍ علم أمره الله به وما نهاه عنه، فإن هذا فرضٌ على الأعيان" يجب على المسلم أن يعرف وجوب الصلاة، ووجوب الزكاة، وأن يعرف المحرَّمات التي نهى الله -جَلَّ وَعَلَا- عنها من الزنا، والربا، وأكل مال اليتيم، والقتل، ونحو ذلك، فهذه أمور مهمة، ولا يُقال: إن هذه من المسائل التي هي من القشور، أو من المسائل الهيِّنة أو السهلة، بل ينبغي العناية بها.

بعض الناس إذا جئت تُعطيه العلم في أمر الوضوء قال: الناس وصلوا في التقنيات وفي التكنولوجيا وأنت تتحدث عن مسألة الوضوء، يا أخي: الوضوء معرفته يُبنى عليه صِحَّةَ الصلاة التي تتعبَّد لله -جَلَّ وَعَلَا- بها، فما فائدة أن الإنسان لا يعرف الوضوء، ولا يعرف أحكام الصلاة، وينتسبُ إلى الإسلام؟! ما فائدة أن يبلغ المراتب العالية في العلوم الدنيوية فيما يتعلق بدقائق العلوم ثم هو يجهل طريقة التعبُّد لله -جَلَّ وَعَلَا- في صلاته، في وضوئه، في زكاته، في صيامه، يُخالف الهدي النبوي، ويُخالف الواجب عليه، فلا شك أن هذا من المغالطات، وهذا من التهاون الشديد الذي للأسف الشديد يسلكه بعض الناس.

فالإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- لما قال: "هو حسنٌ وجميل"، وجاء في رواية أنه قال: "ولكن انظر بين ما تحتاجه في يومك وليلتك فاطلبه" هذا فيه التدرُّج في طلبِ العلم كذلك، وفيه الحرص على الأولويات في

طلب العلم، أعظم ما يحرص عليه المسلم في أمر اعتقاده، في أمر وضوئه، في أمر صلاته، هذه واجبة عليه، ثم ينظر:

- إن كان له مالك فيجب عليه أن يعرف أحكام الزكاة.
- إن كان عنده تجارة يجب أن يعرف أحكام البيوع.
- إذا أراد النكاح يجب أن يعرف أحكام النكاح.

ونحو ذلك من مسائل وفرعيات الفقه.

هذه بعض الوصايا عن الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- ولا شك أن الوصايا كثيرة، ومن تأمَّل ونظر في وصايا السلف يجد فيها من عمق العلم، ومن النفع والفائدة ما يستنير به في سيره إلى الله -جَلَّ وَعَلَا- في طريق العبودية الذي هو طريق السعادة والنجاح والفلاح والفوز في هذه الدنيا وفي الآخرة.

أسأل الله -جَلَّ وَعَلَا- أن يرحم الإمام مالكًا، وأن يجعلنا وإياه مع من تحسُن رفقتهم من النبيين والصدِّقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا، أسأل الله -جَلَّ وَعَلَا- أن يُثبِّتنا وإياكم على الإسلام والسنَّة، وأن يوفقنا لمتابعة هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- والاقتداء به، إنه الوليُّ على ذلك والقادر عليه، وصلَّ الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية
ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

【 Twitter تويتر 】
https://twitter.com/BaynoonaNet
【 Telegram تيليجرام 】
https://telegram.me/baynoonanet
【 Facebook فيسبوك 】
https://m.facebook.com/baynoonanetuae/
【 Instagram انستقرام 】
https://instagram.com/baynoonanet
【 WhatsApp واتساب 】
احفظ الرقم التالي في هاتفك☏
https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191
أرسل كلمة "اشتراك"
تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
((لن تتمكن من استقبال الرسائل))
【 تطبيق الإذاعة 】
لأجهزة الأيفون
https://appsto.re/sa/gpi5eb.i
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/nJrA9j
【 YouTube يوتيوب 】
https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE
【 Tumblr تمبلر 】
https://baynoonanet.tumblr.com/
【 Blogger بلوجر 】
https://baynoonanet.blogspot.com/
【 Flickr فليكر 】
https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

【 لعبة كنوز العلم 】
لأجهزة الأيفون
https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem
【 Vk في كي 】
https://vk.com/baynoonanet
【 Linkedin لينكدان 】
https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية
【 Reddit ريديت 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 chaino تشينو 】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【 Pinterest بنترست 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 Snapcha سناب شات 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/3fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية